

الحلقة الثالثة والأربعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

ماذا يكون موقفك مستمعي عندما تسمع حقيقة جديدة؟ هل تحاول أن تتفهمها وأن تعرف الأسباب التي دعت إليها؟ أم أنك ترفضها فوراً وتسعى لكي تفرض رأيك؟ هناك حقائق جديدة قد نفاجاً بها عندما تعلن أماننا، ولهذا علينا أن نكون مستعدين لكي نفكر فيها، ونقدم رأينا بكل موضوعية وتأنٍ. هذا ما حصل مع الرسول بطرس من تلاميذ المسيح الاثني عشر. إذ عندما أعلن المخلص المسيح لتلاميذه حقيقة جديدة هامة أسرع لرفضها، دون أن يعرف الهدف من ورائها، وما هو قصد الله الأزلي منها. فما كان من المسيح إلا أن وبّخه. كتب البشير متى في بشارته قائلاً:

«مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلَامِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنْ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهَرُهُ قَائِلًا: «حَاشَاكَ يَا رَبُّ! لَا يَكُونُ لَكَ هَذَا!» فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرُسَ: «أَذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْتَرَّةٌ لِي، لِأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ» (بشارة متى ١٦: ٢١-٢٣).

كان لا بدّ للمخلص المسيح أن يبدأ بالاعلان لتلاميذه عن الخطة الإلهية التي أتى لتنفيذها، ألا وهي خطة التكفير عن الخطيئة بموته الفدائي على الصليب. ولهذا أخذ يقول لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى اورشليم، وأن يُضطَّهد من قبل رؤساء الكهنة والكتبة اليهود، وأن يُقتل وفي اليوم الثالث يقوم. أي كشف لهم عمّا سيحدث معه في المستقبل القريب، لكي لا يتفاجأوا به عندما يحصل. ولقد كرر المسيح إعلانه هذا للتلاميذ في مرتين لاحقتين أيضاً. وفي المرّة الأخيرة وكان متوجهاً نحو اورشليم أبلغهم بكل وضوح، أنه سيُصلب وفي اليوم الثالث يقوم. سنتأمل الآن بهذا الحديث الهام للمسيح.

مستمعي الكريم، لقد كان ما أعلنه المخلص المسيح عن موته البديلي وقيامته الظاهرة حقيقة جديدة بالنسبة للتلاميذ. ولهذا لم يكن غريباً أن يستغرب التلاميذ، وعلى رأسهم الرسول بطرس قول المسيح هذا، وبدا وكأنه أراد منه أن يتفادى هذا المصير المؤلم، فانتهره قائلاً: «حاشاك يارب! لا يكون لك هذا!» وهنا ما كان من المسيح إلا أن قال لبطرس: «أذهب عني يا شيطان! أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس». لقد وجه المخلص المسيح كلاماً قاسياً لتلميذه بطرس. فليس أمراً سهلاً أن يقول له: اذهب عني يا شيطان. وأن يهتمه أنه قد أصبح معثرة له، لأنه لا يهتم بما لله ولكن بما للناس.

وهنا علينا أن نسأل لماذا استغرب التلميذ بطرس حديث المسيح هذا؟ لعلّ الجواب الواضح، هو أن التلاميذ كغيرهم من اليهود الأتقياء في ذلك الزمان، قد أساءوا فهم نبوءات العهد القديم من الكتاب المقدس. فهم ظنوا أن المسيح سيأتي ملكاً أرضياً، لكي يحرر الشعب ويبيد أعداءه ويملك عليهم، ويحكم بالعدل. لهذا فوجئوا بحديث المسيح عن موته وقيامته. لكن الحقيقة هي أن الله وعد منذ القديم بمجيء المخلص الملك. لقد كان هدف الله هو أن ينقذ البشر من عبودية الخطيئة، وأن يسحق إبليس عدو الإنسان اللدود، وأن يملك المسيح عليهم ملكاً روحياً. بينما كان محور اهتمام التلاميذ فقط هو العالم المادي الأرضي.

وفي هذا المجال نقتبس ما تنبأ به النبي إشعياء عن فداء المسيح، إذ كتب قائلاً: «وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعْاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبٌ سَلَامِنَا عَلَيْهِ، وَبِحَبْرِهِ شَفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مَلْنَا كُلٌّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا.. وَجَعَلَ مَعَ الْأَشْرَارِ قَبْرَهُ، وَمَعَ غَنِيِّ عِنْدَ مَوْتِهِ.. وَهُوَ حَمَلَ خَطِيئَةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ» (إشعياء ٥٣: ٥-٦، ١٢، ٩).

لهذا لم يكن غريباً أن يقول المسيح لبطرس: اذهب عني يا شيطان. إذ هذا هو هدف الشيطان أن يمنع المسيح من تحقيق الغرض الحقيقي من مجيئه إلى عالمنا، ألا وهو غرض فداء الإنسان وتحريره من عبودية الخطيئة وإبليس، وأن يصبح من أولاد الله المبررين، الذين يملك المسيح على حياتهم.

صديقي المستمع، نستنتج أيضاً من قول المسيح لتلميذه بطرس: «أذهب عني يا شيطان» أن موت المسيح الكفاري على الصليب وقيامته الظاهرة من بين الأموات هي حقيقة أساسية في المسيحية، وليست مجال بحث ورد. وأن الإيمان بهذه الحقيقة الهامة هو الأساس الذي يرتكز عليه الإيمان المسيحي. ولعلّ تنبؤ المسيح للتلاميذ بما سيحدث معه، ورد فعلهم السلبي، هو دليل آخر على صحة حادثة موت المسيح الكفاري. ولقد أكدت كل البشائر الأربع والمصادر التاريخية، حادثة موت المسيح على الصليب، وقيامته

الظافرة من بين الأموات. وكانت هذه الحادثة هي محور تبشير الرّسل والمؤمنين الأوائل.

إن إنكار هذه الحقيقة مستعصي، هو إنكار لخطة الله الأزلية لفداء الإنسان، وهو تصديق لأكذوبة إبليس (الشیطان) التي حاول بها أن يخدع التلميذ بطرس: أن المسيح لن يذهب إلى الصليب فداء للجنس البشري. فهل ترانا ننخدع اليوم بأكذوبة الشيطان هذه؟ أم نصدّق المسيح وكل الحقائق التي لا تدع مجالاً لأي شك؟ أجل، لقد مات المسيح على الصليب آخذاً عقاب خطايانا، أي مات عوضاً عنّا نحن البشر الخطاة. ثم أقامه الله من بين الأموات غالباً منتصراً، وأصعده حياً إلى السماء كابن للإنسان، لكي يجلس عن يمين الله الأب، أي في مركز القوة والسلطان والمُلْك. وهذه حقيقة مؤكدة، وهناك الكثير من البراهين التي تؤكدّها.

إن كل من يتوب ويؤمن بموت المسيح البديلي عنه، وبقيامته المجيدة من بين الأموات، ينال الغفران الكامل عن خطاياها، ويصبح خليفة روحية جديدة ومن أولاد الله المبررين، ويحظى بالحياة الأبدية. هذا هو الإيمان المطلوب من الإنسان. ولهذا كتب الرسول بولس موضعاً عن خطة الفداء قائلاً: «مُنْتَبَرِّينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالْإِيمَانِ بِدَمِهِ» (الرسالة إلى رومية ٣: ٢٤-٢٥). أجل، إن الله يبررنا مجاناً من خطايانا عندما نؤمن بفداء المسيح. فهل تراك مستعصي تؤمن بعمل المسيح الكفاري من أجلك على الصليب وبقيامته المجيدة؟